# الاحادية القطبية وتأثيراتها على السياسة الخارجية الامريكية ومستقبل العلاقات الدولية

أ.م.د. حميد حمد السعدون*

**المقدمة**

بعد ان انتهت الحرب العالمية الثانية بالنتائج التي آلت اليها ، والتي تمخضت عن ظهور معسكرين احدهما شرقي يقوده الاتحاد السوفيتي والاخر غربي تقوده الولايات المتحدة الامريكية ، سيطر التنافس ثنائي القطبية ( Bipolar system ) من اجل السيادة العالمية على السنوات الخمسين الفاصلة بين منتصف القرن العشرين ونهايته ، استخدم فيها الطرفان كل أساليب الصراع وادواته التي تمكنهما من ادامة هيمنتهما على المسرح الدولي ولاسيما ان ذلك المسرح شهد العديد من التوترات التي كادت تؤدي الى مواجهة مدمرة بين القطبين ، وقد اضفى التقاء المدى الجيبولوتيكي العالمي والكونية المنسوبة الى المذهبين المتنافسين ضراوة لا مثيل لها على عملية التنافس لكن عاملاً اضافياً آخر – مشبعاً هو ايضاً بالايماءات العالمية – جعل التنافس بارزاً من خلال تملك الاسلحة النووية ، والتي وضعت العالم على حد السيف ، من خلال الخوف بانزلاق احد الاطراف المالكة لها ، باستخدامها في لحظة حمق لاتتكرر في مواجهة الطرف الآخر في ظل تزايد الازمات الدولية بين الطرفين ، مما يؤدي الى هلاك المنافس ، بل يعني دمار اقسام كثيرة من الكوكب الارضي ، وهذا من شأنه ان يترك عواقب مدمرة على جزء كبير من المجتمع الانساني . وبرغم كل ما احاط بهذه الحالة ، فأن وضع المنافسة الثنائي ، قد اخضع لانضباط شديد من جانب كلا المتنافسين .

الا ان ذلك الوضع الثنائي من المنافسة ، انهار ليؤدي الى ظهور نمط او شكل جديد من اشكال القوة والنفوذ والتسلط ، التي هيمنت على المسرح الدولي وتحكمت بمقدراته ، متمثلة بالولايات المتحدة الامريكية التي انفردت بالقوة العالمية وحدها تحت تسمية الاحادية القطبية . وهذا البحث محاولة ، للاحاطة بهذا النظام الجديد ، وتأثيراته في السياسة الخارجية الامريكية ومستقبل العلاقات الدولية من خلال المحاور الآتية :

**اولاً :- الاحادية القطبية**

بعد ان سقط الاتحاد السوفيتي وتشظى لدولاً ودويلات في نهاية عام ١٩٩١ ، ازاء عدم قدرته على المنافسة المؤثرة في النمو الاقتصادي وفي التكنولوجيا العسكرية المتقدمة ، بسبب التدهور الذي اصاب اجهزة الحزب والدولة ، والتي اظهرت التفسخ الايديولوجي حتى عند المستويات القيادية ، بعد ان استنزفت التعقيدات الايديولوجية التي وضعها كرادلة الارثودوكسية الشيوعية ، القدرة الابداعية للاتحاد السوفيتي ، جاعلة من النظام القائم يزداد تصلباً ، ومن اقتصاده يزداد هدراً ، مع قصوره عن التنافس في مجال التقنية الحديثة ، فضلاً عن النقد المتصاعد للايدلوجية الماركسية – اللينينية وقيمتها في مايخص الديمقراطية وحقوق الانسان والتطور والتقدم ([1]) .

ماحصل في نهاية عام ١٩٩١ ، والذي انتهى بتشظي وانفجار الامبراطورية السوفيتية ، أتاح الفرصة لنظام الاحادية القطبية ( Unpolar ) ان يتسيد الساحة السياسية العالمية ، مستغلاً التراجع الذي اصاب السوفييت ومعسكرهم ، منذ ان تداعى جدار برلين عام ١٩٨٩ ، تحت غضب ورغبة الجماهير المحاصرة بكل اشكال القهر والاستبداد ، لينطلق بضغطه في التلاعب بعواطف الناس تحت شعارات حقوق الانسان والديمقراطية والرفاه الاجتماعي ، وغيرها ، لتتساقط الانظمة الشيوعية بطريقة " الدومينو " والتي غيبت جرائها قوة تعادل وتكافؤ عالمية ([2]) ، كانت قادرة تحت ظروف معينة من جعل الوضع الدولي مقبولا من قبل المتنافسين لكن سقوطها وغيابها عن الساحة ، جعل من الطرف الآخر سيداً على النظام الدولي برمته ومتفرداً في تقرير مصير الكثير من الازمات الدولية ، خاصة وان هذا الاندفاع ، قد ترافق معه انتصار اقليمي كبير للولايات المتحدة الامريكية في اهم مناطق الثروة العالمية ، فيما سمي بحرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ ، تحت شعار- تحرير الكويت ([3]) - مما هيأ الاوضاع للطرف المنتصر ، ان يربض على الارض التي يتحكم فيها بمقادير الثروة والطاقة التي يحتاجها العالم كله، بحيث بات المزاج والقرار الامريكي ، من يقرر حجم واسعار البترول في هذه المنطقة ، وعلى الرغم من كل ضجيج وصخب وبهرجة مؤتمرات – الاوبك – النفطية .

---

* مركز الدراسات الدولية / جامعة بغداد

١- د. حميد حمد السعدون – فوضوية النظام العالمي الجديد – دار الطليعة العربية – عمان ٢٠٠١ – ص : ٢٤ .

٢- زبيغنيو بريجنسكي – رقعة الشطرنج الكبرى – ط ١ – ترجمة امل الشرقي – الاهلية للنشر والتوزيع – عمان ١٩٩٩ – ص : ١٨ . جيمس بيكر – مذكرات جيمس بيكر – ط ١ – ترجمة مجدي شرشر – مكتبة مدبولي – القاهرة ١٩٩٩ – ص : ٥١٦.

٣- جيمس بيكر – مذكرات جيمس بيكر – ط ١ – ترجمة مجدي شرشر – مكتبة مدبولي – القاهرة ١٩٩٩ – ص : ٥١٦ .

نظام الاحادية القطبية ، اتاح للولايات المتحدة ان تمارس وتنفذ سياسة الهيمنة ضد الجميع ، من خلال التمسك به ، ومحاربة ومضايقة كل من يتحداها ، لأن في ذلك تحدي للارادة الامريكية واتساع المخاطر على مصالحها ومواطنيها . كما ان انهيار الطرف المنافس، وضع الولايات المتحدة الامريكية ، في موضع فريد ومتميز ، اذ منحها التفرد بالقوة العالمية ، بحيث اصبحت امبراطورية عالمية بشكل مستحدث ، وليس على طريقة الامبراطوريات السابقة . وامبراطورية الولايات المتحدة الامريكية تكمن في تفردها بالتأثير المباشر في كل القرارات والشؤون العالمية مع انصياع الاغلبية الدولية لما تريده واشنطن ، بحيث بدى ان التوافق الدولي لرغبتها اوحى بحقيقة وجود تراتيب مايسمى بالنظام العالمي الجديد ، وهذا التوافق الحديث لايختلف في معناه المجازي عما كان عليه التأسيس الامبراطوري القديم في تحقيق النفوذ من خلال هرم من التوابع والوكلاء والمحميات والمستعمرات .

لذلك فأن مفهوم الاحادية القطبية ، هو سيطرة دولة عظمى واحدة ، على سائر وحدات المجتمع الدولي، على نحو هرمي ، وانفرادها في التحكم في السياسة الدولية ، دون ان تظهر دول اخرى لها قدرتها في منافستها على مركزها نتيجة لاحتكار القوة المنفردة لهيكل القوة الثلاثي : الاقتصادي والتكنولوجي والعسكري على نحو تتميز به عن سواها من الدول ([٤]) ، في حكين يرى البعض ذلك المفهوم بأنه وصف لدولة تتمكن من ان تتجاوز الدول الاخرى بحجمها ومداها ورقعتها ورسالتها في العالم ، فدولة من هذا النوع، تتصف بسعة مصالحها وتعهداتها وشعورها العالي بأنها ممهورة برسالة كونية ([٥]) .

واليوم يبدو النفوذ العالمي الامريكي واضحاً دون لبس . فالولايات المتحدة اقوى دولة برية وبحرية وجوية ، كما ان تحكمها بالبحار والمحيطات والفضاء ، امر طاغ ، وتلك اول مرة منذ زمن الامبراطورية الرومانية، تكتشف فيها دولة من الدول ، انها تفردت بالقوة وحدها . ومع ادراك ان النفوذ الامريكي بالقوة الآن اوسع واخطر مما كان متوافراً لأي قيصر روماني بحكم النطاق الجغرافي للصراع ، وما وفره العلم من مستحدثات هائلة وغير مطروقة ، مما اعطى الارجحية للولايات المتحدة الامريكية ، من حكم الدنيا بقاراتها ومحيطاتها وفضائها الكوني ، وهو وضع غير مسبوق ([٦]) . يرافق ذلك ما تملكه من اقتصاد كبير ومؤثر في مجمل حركة الاقتصاد العالمي ، ناهيك عمّا تمتلكه من قاعدة علمية وتقنية واعلامية ، قادرة على احداث التغيير الذي تريده ، بحيث بدت قوة كاسحة "Hyper Power" على المسرح السياسي الدولي ، وهذا مابات واضحاً في عدوانها على العراق عام ١٩٩١ ، والحرب على يوغسلافيا ١٩٩٩ والحملة العسكرية على افغانستان ٢٠٠١ ومن ثم عدوانها واحتلالها العراق عام ٢٠٠٣، وكذلك التلويح باستعمال القوة ضد دول اخرى ، مثل ايران وسوريا والسودان ، على وفق رؤية " هنري كيسنجر " وزير الخارجية الامريكية الاسبق والقائلة ( لوح بالعصا امام اعدائك كثيراً ، تحصل على النصر ) الامر الذي مكنهم مستندين الى القوة التي تملكها امبراطورية غير مسبوقة في التاريخ بفرض نفوذها على الاخرين بطرائق ذات اهمية سياسية . ولايستثنى من ذلك حتى من تدعي لنفسها انها دول ( كبرى ) ولعل في التواجد الامريكي في دول القوقاز وآسيا الوسطى والذي تم بضغط وبموافقة روسية ابرز الادلة على مايستشهد به كما ان قواتها العسكرية جاهزة للتدخل والحسم بالضرب من بعيد بحزمة من صواريخ ( الكروز ) و ( توما هوك ) او بالتواجد الفعلي على الارض مثلما تمكنت عليه من سيطرتها على ثروة المستقبل – النفط – في منطقة الخليج العربي ، فقد حولت هذه المنطقة ذات الاهمية الاقتصادية الى محمية عسكرية امريكية تتحرك فيها القوات الامريكية بالطريقة التي تضمن سلامة الامن القومي الامريكي ومصالحه في الخليج او في مناطق اخرى من دون الحاجة الى الاستئذان من اهل ( الدار ) لان شرعية القوة التي تملكها تغني واشنطن عن طلب الأذن من احد ، ثم اكتملت الحلقة حينما ربضت على الارض العراقية ، ماسكة في فعلها هذا بقلب المنطقة ومحورها الجيو- ستراتيجي .

ان نظام الاحادية القطبية ( Unipolar ) حقق للولايات المتحدة الامريكية ، امر التفوق والسيطرة على العالم دون وجود دولة اخرى او مجموعة دول قادرة على تحدي زعاماتها العالمية . ويأتي هذا متوافقاً والرغبة الامريكية الدائمة ، برفضها لمفهوم توازن القوى ، مستندة في ذلك ، اما للنأي بنفسها عن نزاعات الامم الاخرى ، او من خلال قدرتها على اقرار السلم العالمي ، بالاصرار على تطبيق قيمها الخاصة بالديمقراطية وتقرير المصير ([٧]) .

لذلك فإن مفهوم ( الهيمنة Domination ) متأت من تركز القوة الهائلة وغير المحسوبة او القوة التي لاتجد مقابلاً لها في الزمان والمكان بما يمكن ان يؤسس عليه بتوازن القوى Balance of power ،

---

٤- هذه العناصر الثلاث هي مايطلق عليه ( توفلر ) : المعرفة والثروة والعنف ، اذ تعني المعرفة بالتكنولوجيا والثروة بالاقتصاد والعنف يشير للقوة العسكرية . يراجع : الفن توفلر : تحول السلطة : المعرفة والثروة والعنف في بداية القرن الحادي والعشرين – ترجمة حافظ الجمالي واسعد صقر- منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق ١٩٩١

٥- د. سعد حقي توفيق – النظام الدولي الجديد : دراسة في مستقبل العلاقات الدولية بعد انتهاء الحرب الباردة – الاهلية للنشر والتوزيع – عمان ١٩٩٩ – ص : ١٣ .

٦- محمد حسنين هيكل – الامبراطورية الامريكية والاغارة على العراق – ط ٢ – دار الشروق – القاهرة ٢٠٠٣ – ص ٣١٣ .

٧- زبغنيو بريجنسكي – مصدر سابق – ص : ١١ .

لذلك يمكننا ان نعرفها بأنها مجموعة الخرائط والحدود والقواعد والاصول والقوانين والاوضاع السياسية والاقتصادية والنفسية بين حربين في جزء من العالم او كله ، اي انها بمعنى آخر واقع الجغرافية السياسية ( Gepolitics ) التي افرزتها حرب اقليمية كبرى غير مطروقة في منطقة معينة من العالم . ولعل في مثل الهيمنة الامريكية على شؤون العالم بعد سقوط الاتحاد السوفيتي والنتائج التي تحققت لها في عدوانها على العراق عام ١٩٩١ ، ومن ثم احتلاله عام ٢٠٠٣ ، ابرز الامثلة واوضحها .

كما ان عصر تقانة المعلومات بدأ يؤثر بوضوح في ادارة الشؤون الدولية ومضمونها بما يعزز الهيمنة لمن يمتلك مفاتيح تلك القوة وهذا امر مهم لأن تقنيات المعلومات فضلاً عن تغييرها وسائل العمل والاتصال غيرت ايضاً من الوسائل التي تعمد اليها المجتمعات والحكومات مع بعضها بعضاً على وفق خياراتها وحاجاتها في امورها الستراتيجية ، لأن على الجميع ان يدرك حجم التغيير الحاصل في مجال التعامل مع المعلومات في هذه البيئة الجديدة . ان انظمة الاتصال الرقمية ووسائل الاتصال المباشرة والزهيدة بشبكة الانترنيت World Wide Wed ، اصبحت من واقع الحياة ونتيجة لذلك ظهرت على المسرح الدولي مجموعة متزايدة من الناشطين واصحاب المشروعات السياسية لاتعوقهم حدود البلدان التقليدية او نظم التوزيع او حتى البروتوكولات السياسية وهذا مايدفع بالدول النافذة والمهيمنة ان تدرك ان زعامتها تتوقف على قدرة قوتها ودبلوماسيتها على التغيير والتكيف مع ضرورات عصر المعلومات ([٨]) .

ان المؤشرات التقليدية لميزان القوى او للقوة المهيمنة سواء كانت الموقع الجغرافي ام عدد السكان ام توافر المصادر الغذائية ام الموارد الطبيعية ام البنية التحتية ام الطاقة العسكرية ام القوة الاقتصادية على الرغم من اهميتها الحيوية لم تعد الضمانات الوحيدة للهيمنة او الزعامة العالمية او الاستقرار السياسي . فهذه المؤشرات لم تستطع ان تتوقع على نحو كاف التحولات المهمة على الخارطة السياسية للاتحاد السوفيتي السابق . ولذلك فأن مانستطيع ان نتوقعه في الربع الأول للقرن الواحد والعشرين هو ان تصبح قدرة الدولة على استخدام تقنية المعلومات وتطبيقاتها ، اهم مستلزمات الزعامة والهيمنة والنفوذ والتفوق الاقتصادي والسياسي ، وهذا لايتوافر وبالشكل الذي يضمن الانفراد والهيمنةلاحدى القوى الا في الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها المتقدمين في التقنية والمعلومات . فالنظام السياسي في شكل التطبيقات الحاصلة في الوقت الحاضر ، اصله معرفة والمعرفة اليوم ، شكل من اشكال النفوذ والهيمنة ، وهذا ماتمارسه القوى الكبرى في انشطتها السياسية المتعددة الاوجه ([٩]) .

كما ان من يمارس الهيمنة " Domination " ويحاول الانفراد بها لن يكون معنياً بالاجابة عن اسئلة تتعلق بالاخلاق والشرعية والعدالة والانصاف لأنه ان انشغل بالاجابات فاتته فرصة التسيد وقد يكون تابعاً وليس متبوعاً وهذا مايدركه كل طغاة وجبابرة البشرية . ولعل في الممارسة الامريكية في عدوانها على العراق واحتلالها له ، بعد ان اهملت المنظمة الدولية وكل الدعوات النبيلة الداعية الى ترجيح منطق الحوار على منطق القوة والاجبار والتعسف ، ابرز الشواهد على غرور القوة والتسلط ([١٠]) ، على الرغم من الحاجة اللاحقة للامريكان للدور الدولي في اخراجها من محنتها التي وقعت نفسها فيها في المستنقع العراقي . لذلك فان احتدام الصراع في وقتنا الحاضر في ظل الهيمنة الامريكية على العالم ، متأت من اسباب مصلحية، وان اتخذت هذه الصراعات مظهراً قومياً او دينياً او ثقافياً او حضارياً .

كما ان من يمارس الهيمنة ، لن يكون معنياً بخصوصيات او هويات الاخرين ، لأنه يراها - بسبب مظهرية الغرور والتسلط –استمراراً ثقافياً لحضارات قديمة تجللت ، بعد ان طغت عليها الحضارة الرأسمالية الجديدة المتمثلة بالليبرالية الامريكية . ولهذا نلاحظ في الدول النامية بروز الدعوة الى الاصولية انطلاقاً من فكرة ان الماضي هو السبيل الى الاصلاح ، بسبب ان مجريات وقائع الحاضر ،تتسم بالعدوانية المنفلتة اتجاهها ،ولهذا فأن الولايات المتحدة الامريكية تسعى الى تنميط العالم سياسياً واقتصادياً وثقافياً دعما لهيمنتها ولمصالحها الخاصة وليس دعماً لوحدة الحضارة وتطويراً لعولمتها . وهي تسعى الى تهميش دور الدولة في مختلف هذه البلدان وتصفية دورها الانتاجي والخدماتي وقصور دورها على الدور الأمني والقمعي لحماية شبكة المصالح ([١١]) .

ان الحرب التي تشنها الولايات المتحدة الامريكية ضد ماتسميه بالارهاب ، ومنظماته الفاعلة ، وضد بعض الدول التي لاتعترف بهيمنتها وتتحدى مشاريعها في مناطق عديدة من العالم ، انما تحفي صراعاً حاداً بينها وبين منافسيها في الهيمنة العالمية ، وان حاولت ان تعطيه مظهراً حضارياً او ثقافياً او انسانياً او امنياً . ولعل في حملتها العسكرية ضد افغانستان عام ٢٠٠١ وعدوانها على العراق ، ومن ثم احتلاله عام ٢٠٠٣ ،

---

٨- علي محمد رحومة – الانترنيت والمنظومة التكنو اجتماعية – مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت ٢٠٠٥ – ص: ١١٣ .
٩- محمد حسنين هيكل – مصدر سابق – ص : ٢٦٨ .
10- Jonathan Steele – Defeat : Why they Lost Iraq – London : I. B. Tauris 2008 P :49 .
١١- روبرت سميث – جدوى القوة : فن الحرب في العالم المعاصر – ترجمة وتحقيق مازن جندلي – الدار العربية للعلوم – بيروت ٢٠٠٨ – ص : ١٣٨ .

واجراءاتها التصعيدية المتعددة الاشكال ضد ايران والسعودية وسوريا والسودان وفنزويلا وكوريا الشمالية ، وكل من يقف بالضد من مصالحها ومخططاتها ([١٢]) ، أمثلة مازالت احداثها فاعلة لليوم ، على الرغم من التضليل الكبير الذي وظف من اجل تسويق تلك الادعاءات والمسوغات .

ان سياسة الهيمنة التي تمارسها الولايات المتحدة ، فاقمت قوتها ونفوذها ، لدرجة باتت فيه سلطان العالم المطلق ، لكنها في الوقت نفسه ، دفعت باحتدام صراعات المصالح التجارية بين الدول الرأسمالية ، بشأن السيطرة والتحكم في اسواق العالم ، من خلال استخدام ارقى ماوصلت اليه المعرفة العلمية والاكتشافات التقنية ، على الرغم مما بين هذه الدول من اشكال تنسيقية وتحالفية . والولايات المتحدة ، تدرك جيداً ، ان حلفاءها الظاهرين والمساندين لها في كل خروقاتها ، لايمكن ان يقبلوا للأبد بسيادة الواحد على الجميع ، وهذا مايخيفها ويجعلها تعيش وتتصرف بقلق ، بل وبعدوانية في اغلب الاحيان ([١٣]) .

ان الشكل الامبراطوري الامريكي الحالي ، او مايسميه بعضهم بنظام الهيمنة المطلق ، هو تعبير عن غياب النظام القائم على القانون وبالمقابل سيطرة منطق القوة . وهو وضع لايمكن ان يستمر طويلا ، ولايمكن ان يكون سوى مرحلة انتقالية ، فلا يمكن ان يستقيم اي نظام قائم على اباحة كل شيء في العلاقات الدولية ، وعلى الاحتكام للقوة ([١٤]) .

ان الامبراطوريات الكبرى في التاريخ ، لايهزمها خصومها في صراعات مباشرة الى النهاية ، وانما تتولى هي هزيمة نفسها بالافراط في استعمال القوة وفي التوسع ، اذ تعجز عن مسايرة التطور ، وتتصور قدراتها غالبة الى الابد ، وهي حالة الوضع للامبراطورية الامريكية الحالية التي انغمست في غرور القوة والاجبار ، مستندة الى تفوقها في مجالات عديدة . لكن الاكيد ، ان نهاية هذه الحالة ، امر مفروغ منه ، وان كان زمنها لايمكن التنبوء به بدقة ، لكن ماناراه من التدهور الانحداري لمقومات هذه القوة ، بات اكثر من واضح ، مما يضع قيوداً جدية في طريق مواصلاتها سلوك الهيمنة الدائمة .

بعد ان ادعت الولايات المتحدة الامريكية ان الاسلام السياسي وفي مقدمته ( بن لادن ) قد فتحوا النار عليها ، فانها استعرضت قوتها الطاغية والمنفلتة في حملتها ضد افغانستان الممزقة والمتهدمة والواقعة تحت العنف منذ عام ١٩٧٨ م مقدمة لعمل جعلت امريكا فصوله مفتوحة لان تكتب فيها مايلائمها وبما يوافق الافكار التي طرحها – هانتغتون – في صدامه للحضارات في حين سيكون عنوانها الرئيس انها حرب ضد ( الارهاب ) لكنها في الحقيقة حرباً ضد الآخرين الذين يختلفون معها حضاريا وفي المقدمة من ذلك الهوية والثقافة الحضارية الاسلامية ، ولعل في احتلالها العراق عام ٢٠٠٣ ، ابرز الامثلة . ومع قبولنا ان ماحدث في الحادي عشر من ايلول / سبتمبر ٢٠٠١ ، كان حدثاً مهماً ، اثر بشكل عميق في التطورات السياسية اللاحقة ، لكن من الخطأ اختزال هذا التأثير الى مجرد بلورة سياسية مشتركة وتطبيقها في محاربة الارهاب ([١٥]) .

ان الولايات المتحدة الامريكية ، وتحت ضرورات الادعاء بالخطر المحدق على امنها القومي ، اوغلت في ممارسات الازاحة والاقتلاع ضد الآخرين ، بما يكاد يدفع البلدان الاخرى الى الخراب والفوضى، متكئة في ذلك على ماشرّع لها مجلس الامن الدولي ، بقراريه "١٣٦٨" في ٢٠٠١/٩/١٢ و " ١٣٧٣ " في ٢٠٠١/٩/٢٨ ، والذي حصلت فيه على تفويض مطلق في استعمال القوة والعنف ضد أي طرف ، تعتقد الولايات المتحدة ، بخطورته عليها او على الاطراف الدولية الاخرى . وحصول ذلك وبهذا التفويض المطلق، يعد تحدياً خطيراً لدور الامم المتحدة واستمراريتها كهيئة دولية جامعة ، تعنى بأمن وسلام المجتمع العالمي ([١٦]) .

لذلك، فان الولايات المتحدة الامريكية ، اتجهت في سياساتها الخارجية ، نحو تطبيق الفوضى الخلاقة في عموم المجتمع الدولي ، والتي تعني وجود عناصر متفاعلة مع بعضها بشكل صراعي ، يصلح ان يكون انموذجاً تطبيقيا لحالات الدول المختلفة ، لأنه احياناً ، يترك الصراع لقواه الذاتية للحسم . والفوضى الخلاقة ، شكل من اشكال التدمير الذي فلسف له البعض من مروجي الخطاب السياسي الامريكي ، بأن اشكاله التدميرية ، قادرة على الابتكار ، مما يعني نقلة نوعية للشعب الذي تمارس ضده هذه السياسة ، كما انها تعبير دقيق للممارسات الامريكية في حقل السياسة الخارجية ، والمطبوعة بالفوضى والانفلات والاجبار، ولعل في شواهد الحروب والتأزمات والكوارث التي حدثت في عصر الهيمنة الامريكية ، تغني عن الاستدلال عن كارثية الفوضى الخلاقة ، التي اعتمدتها الولايات المتحدة الامريكية كفيصل لها في المسرح السياسي الدولي ، خاصة

---

12 - Paul Star bin- After America: Life After Ane American Century- Viking – New York 2008 – P: 217.

١٣- روبرت سميث – مصدر سابق – ص : ١٤٩

١٤- برها غليون – العرب وتحولات العالم من سقوط جدار برلين الى سقوط بغداد – ط ١- المركزالثقافي العربي – الدار البيضاء / المغرب ٢٠٠٣ – ص ٧٦ .

١٥- افغيني بريماكوف – العالم بعد ١١ ايلول – ط ١- ترجمة احمد الهاشم وفالح السوداني – دار المدى للثقافة والنشر – دمشق ٢٠٠٦ – ص : ٢١٣ .

١٦- فنسان الغريب – مأزق الامبراطورية الامريكية – مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ٢٠٠٨ – ص : ١٢٦ .

وان ستراتيجية هذه الفوضى قد انبتت اذرعاً منفلتة وباتجاهات متعددة ، دون ان تكون هذه الاذرع ، متطابقة بضرورة التوجه الواحد ، بل قد تكون متوجهة نحو رسم خرائط جديدة تكون حدودها " حدود الدم " ([١٧]) .

ان الولايات المتحدة الامريكية ، تقوم بتجربة امكانياتها وامتحان قدرتها فيما يخص التأزمات الحاصلة في العلاقات الدولية ، مستغلة بذلك خوف العالم وفزعه منها ازاء فائض قوتها التي تدفعها لاستخدام القوة العسكرية المفرطة ، ولكونها القوة الاوحد في هذا الوقت ، فأنها تحتاج الى اثبات قدرتها ، كما انها تحتاج الى ان تخيف الاخرين بقوة اسلحتها من خلال التجربة في ميدان حقيقي ، وهي تتطلع الى ان تجعل الوضع الذي تقوده ، قلقاً وليس سلاماً حقيقياً ، لكي لاتفرط بمكامن وحقائق القوة في اوضاع الطمأنينة والاسترخاء . فالولايات المتحدة ، وبالمنطق الاستراتيجي ، تتعامل مع الجميع وتدفع للجميع وتنسق مع الجميع وتدعم الجميع ، لكنها تذهب لتحصيل وتحقيق اهدافها بالشكل الذي يتناسب وماتزيده ، دون ان تعير اي اهتمام لقبول الآخرين من عدمه ، من النتائج النهائية التي تحصلت لها ، سواء بالقوة الناعمة بالقوة المفرطة والعنيفة([١٨]) .

الولايات المتحدة ، تريد ان تمسك بهذه اللحظة العالمية لادامة قوتها ، لأن ذلك يمكنها ان تتصدى لكل محاولة ، تحاول ان تغير في معادلات القوة ، في عصر الهيمنة المطلق ، خاصة انها تمارس سلوكاً ديماغوجياً في المحيط الدولي ، الذي باتت موازين القوى فيه ، تلاحظ القدرة العسكرية الطاغية للولايات المتحدة الامريكية ، والتي لن تتردد في استخدامها تجاه أية قوة تفكر او ترغب بتغيير معادلات القوة النافذة ، وهذا مايتيح لها ، الامكانية على تغيير الخرائط ووقائعها الجغرافية والسياسية ، السابقة لأفعالها .

لقد استخدمت الولايات المتحدة بعد ١١ ايلول / سبتمبر ٢٠٠١ المعتقدات والافكار والتبريرات كافة التي تخدم خطابها السياسي والاعلامي لتوظيفها في الاتجاهات كافة . وقد خطت خطوة اصولية متزمتة ، حينما حولت السياسة الى دين ، كما هو الحال لدى الحركات الاصولية ، التي تعيد تفسيرالدين ، وتقدم قراءات للواقع من خلال ذلك التفسير ، لتصبح تلك القراءات ايديلوجية دينية ، تتحول السياسة في بنيتها الى ممارسة دينية ، ونتيجة لذلك ، تغدو ممارسة السياسة فرضاً على كل مؤمن يبحث عن خلاصة ، ازاء هيمنة الاعتقاد الذي تتلبسه بصفته ممثلاً للارادة الالهية . وعليه فأنه في بلد للدين فيه نفوذ كبير على السياسة ، كحال الولايات المتحدة الامريكية فان مفردة " الشر " مرتبطة بمفردة " الشيطان " وبهذا المعنى يستخدم الدين لمواصلة اهداف غير نبيلة ([١٩]) . ولذلك فان استعمال مفهوم – محور الشر – في نشاط السياسة الخارجية الامريكية ، لايبتعد عن هذا الفهم ، على الرغم من ان تغليف الخصومات السياسية بالدين وما يحيط به ، نهج مشوة واساءة متعمدة للدين وللانسان ، كما ان استعمال مفردة " الحرية " في الخطاب الامريكي ، لاتعني حرية الخيار السياسي ، بل حرية اكتشاف الرب بالمدلول المسيحي التبشيري ([٢٠]) ، معبرين في ذلك عن تجاهل لعلم الادراك رغم كونه علم الحقيقة الصعب ، واستعمالات كهذه ، تجعل من ميدان السياسة ، حقل الغام مملوء بالافخاخ ومصائد المغفلين .

**ثانيا : السياسة الخارجية الامريكية**

كل حرب تؤسس مرجعية لها ، ولأن الحرب الباردة انتهت بانتصار الولايات المتحدة الامريكية ، فقد بات من اللازم ان تكون هيمنتها الطاغية ، هي المرجعية الاساسية للنظام الدولي ، خارج كل اطارات العمل الجماعي ، بما فيها الامم المتحدة التي استخدمت ممراً او جسراً لكل القرارات الامريكية بعد ان تبرقعت بالشرعية الدولية ، التي اضفى عليها رضا وقبول الاطراف الدولية الاخرى ، للمطالب والرغبات الامريكية . ولأن الولايات المتحدة الامريكية ، لم تكن قد هيأت نفسها للتعامل مع مستجدات العصر الجديد الكثيرة والمتعلقة ، فقد بدا ان اداءها يميل اما للفوضى والانفلات ، واما للغرور المطلق ، جراء حجم المشاكل التي واجهتها وبطريقة تراكمية سريعة ، لم تعطها القدرة والوقت على ترتيب اوضاعها وبالشكل الذي يضمن لها انتقالاً هادئاً لمركز القوة العالمية الجديد . ولذلك فأنا نرى ان سقوط الاتحاد السوفيتي ، أشبه بانهيار سد مأرب ، ازاء ما لحق هذا السقوط من متغيرات عميقة على المستويين العالمي والانساني ، رافق ذلك غرور القوة والعنجهية والتكبر ، التي طبعت السلوك الامريكي بعد انتصارها في الحرب الباردة ، مما افقد معالجاتها ، الكثير من الموضوعية والاتجاه الصحيح ، مما يعني ولادة مشاكل تضاف لما سبقها ، الامر الذي يثقل الاداء السياسي بالكثير من الحوامل ([٢١]) .

---

17 - Fred Kaplan – Day dream Believers: How a Few Grand Ideas Wrecked American Power – Hoboken , NJ : John Wiley and Sons 2008 – P : 97 .

١٨- فنسان الغريب – مصدر سابق – ص : ٢١٨ .

١٩- صوفي بودي جندور – المجتمع الامريكي بعد ١١ سبتمبر – ط ١ – مطبوعات المؤسسة الوطنية للعلوم السياسية – باريس ٢٠٠٢ – ص : ٨٥ .

٢٠- بوب وودوار – حرب بوش – عرض وتحليل حسين عبد الواحد – الناشر مدبولي الصغير – القاهرة ٢٠٠٣ – ص : ٧٩ .

21 - Fred Kaplan – OP. Cit – P : 124 .

كان الخطاب الاصولي المتزمت ، والذي اعتمدته الولايات المتحدة في اجراءاتها الداخلية ، او في حقل السياسة الخارجية ، منطقاً شمولياً لايعترف بالآخر ولا يتناسب مع المواطنية والديمقراطية ([٢٢]) وهذا ما اوقعها ، مع مارافقه من غرور القوة الذي تلبسها بعد انفرادها وهيمنتها على احوال العالم ، وشكل معالجاتها للازمات الدولية ، بما يمكن ان نسميه التشابه مع موقف آخر " Syndrome " وهي حالة تقع فيها القيادات المغرورة والغبية ، حينما تقيس اوضاعها في ازمة ما بناءً على النتائج التي تحققت لها من ازمة سابقة ، وهي حالة تأخذ العقل السياسي للتماثل مع اجراءات حالات سابقة ، مما يدفعها للقياس على ماسبق ، الامر الذي يوقع العقل السياسي في حالة ارباك وتشوش ، ناسين ماكان القائد الالماني الشهير الماريشال " فون مولتكه " يوصي به ضباط اركانه بالقول : " لاتحاربوا الحرب التي مضت " . لذلك فليس صحيحاً ان نقيس على مانعرفه في العمل السياسي ، بل المطلوب القياس بالتخيل والتنبوء والتقدم على الاخرين ، وهذا مالم تفعله الولايات المتحدة في حروبها المفتوحة في افغانستان والعراق ، مما اوقعها في ثقب كوني ، ليس من السهل عليها الخروج منه بأقل الضررين .

وقد نؤشر في هذا الاتجاه ، بأن الولايات المتحدة الامريكية وبالنظرة والتصرف البراغماتي ، غير مستعدة لتحمل اعباء المجتمع الدولي وحدها ، بعد افول نجوم كثيرة كانت مشاركة لها في هذه المسؤولية ، مما دعاها ، ان تترك للفوضى الخلاقة الفرصة في حلحلة الكثير من المشاكل بالتدافع الذاتي ، دون ان تكون تلك الحلول متقاطعة والتوجه الامريكي ، وهذا مابان في الكثير من القضايا التي تعاطت معها الولايات المتحدة الامريكية، كمرجعية رئيسة للنظام الدولي الجديد ، الامر الذي اقلق المجتمع الدولي ودفعه لاشكال عديدة من التطرف، انعكست باشكال من التأزمات والتوترات الكثيرة التي باتت سمة العصر الجديد الذي تؤدي فيه الولايات المتحدة ، الدور الرئيس والطاغي في كل الشؤون العالمية . لذلك فان ماحصل من حروب وتوترات وتأزمات ، في عصر الهيمنة الامريكية ، يفوق بعدده وحجمه وآثاره المدمرة ، ماحصل في اي وقت سابق مر به المجتمع الدولي ، وتحت أي شكل من اشكال الالمعادلات الدولية التي تعنى بلعبة الصراع الدولية .

لكن الملاحظة الرئيسة الجديرة بالتسجيل ، ان ماتوافر للولايات المتحدة الامريكية من زمن باتت فيه سيد العالم وحاكمه المطلق ، لم توظفه لخدمة المجتمع الدولي ، بقدر ماظلت محكومة بارثها الاستغلالي والمرابي ، حتى وان ادت تلك السياسة لاشكال عنيفة يمر بها المجتمع الدولي ، وعليه فقد ، ظل الانطباعان – الغرور والفوضى – ملازمين للسياسة الخارجية الامريكية منذ انفرادها بالمسرح السياسي الدولي ولحد الآن ، وهذا ما ثلم من هيبة ونفوذ الدولة الاعظم في الوقت الحاضر ([٢٣]) .

فضلاً عن ذلك ، فإن الولايات المتحدة الامريكية تعد الحرب في احيان كثيرة الوسيلة الوحيدة لحل منازعاتها مع الاطراف الاخرى ، ويمكن ان نجد ذلك واضحاً في عدد معاركها ، فهي دخلت في اكثر من "٣٠٠" معركة ضد الاخرين " انكليز وفرنسيين ، واسبان ، والمان ، ويابانيين ، وهنود حمر ، وعرب ، ومسلمين ... الخ " علما ان تاريخ هذا البلد كله ، لايزيد عن خمسة قرون !!! كما لم يمتلك الامريكان ، طوال مساهمتهم في الشأن الدولي ، الصبر التاريخي في ادارة الازمات والمشاكل والنزاعات ، بل كانوا يعطون للحرب اولوية لحل كل مايعترضهم .

وعلى الرغم من ان الحرب ، امر وارد في حياة كل الشعوب ، الا ان الامريكيين يعدونها وسيلة اولية وراجحة لحل المشاكل ([٢٤]) ، وهذا امر متأت من التجربة التاريخية والحياتية التي مر بها هذا البلد وأناسه ، ابتداءً من اكتشافه ، وانتهاءً بهيمنته على الشؤون الدولية في الوقت الحاضر .

لقد فشلت الولايات المتحدة الامريكية ، في تكييف ماتحقق لها من هيبة وقوة ونفوذ ، بعد انتهاء الحرب الباردة ، امام العالم ، بسبب غرور سياسيها وغطرستهم واستخدامهم التفكير الحدسي ، الذي يعني القفز على الدرجات المنطقية في التفكير ، والوصول اساساً الى النتيجة . وهذا الاتجاه يحمل نقصاً في الوعي والمعرفة، مما يؤدي الى اتساع ظاهرة الشك بالناس والظواهر المصاحبة للحياة ، وهذا مادفع هذه القوة الباذخة تحت حكم الاضطرار ان تلج بنفسها في مشاكل عديدة ، سببت توتراً دائماً للسلم العالمي ، وافقدتها الكثير من مصداقيتها وهيبتها ، مما دعا صناع السياسة الامريكية ، ان يدفعوا بقوتهم العسكرية ان تتكلم عن نفسها، وكأنها الخطاب السياسي الوحيد الذي تجيده القيادات الامريكية في هذا الظرف ، بل ان البعض وجد ان القوة العسكرية اصبحت عنصراً مركزياً من الهوية القومية الامريكية ([٢٥]) ، رغم كون الولايات المتحدة ، هي القوة الوحيدة والمهيمنة في هذا الوقت في عموم العالم .

وبعكس ماكان متوقعاً ، بأن انتهاء الحرب الباردة، سيجلب للعالم اوقاتاً طويلة من السلم ، فقد بات انفراد الولايات المتحدة الطاغي على المسرح السياسي ، يشكل خللا في البيئة الامنية لعموم

---

٢٢- فرج العشة – نهاية الاصولية ومستقبل الاسلام السياسي – دارالعلم للكتب والنشر – بيروت ٢٠٠٩ – ص : ١٢٧ .

23 - Jonathan Steele – oP. Cit- P : 204 .

[24] -Mark Steyn – America Alon: The End of the world we know it – Washington DC: Regnery 2008 – P : 127 .

٢٥- اندروبا سيفيتش – الامبراطورية الامريكية – ط ١ – الدار العربية للعلوم – بيروت ٢٠٠٤ – ص : ١٦٣ .

المجتمع الدولي ، بسبب عدم نجاحها في توظيف ما تحقق لها بشكل ايجابي ، بل ان ماحصل اوضح ان اشكال وحجم وآثار الحروب التي حدثت في ظل الهيمنة الامريكية ، كان اكثر وجعاً واشد ايلاماً على المجتمع الدولي مما حدثت من سابقاتها ايام الحرب الباردة .

ومن الغرائب التي لايمكن حجبها ، ان ماتوافر للولايات المتحدة ، من ارث انساني وحضاري ، تعاون المجتمع الدولي باكمله ، على انضاجه عبر مسيرته الحضارية ، فشلت هذه القوة الطاغية ، من الاستفادة منه ، وبطريقة عبثية ومتكبرة ، بحيث دفعت احد الوزراء الامريكان البارزين ان يصف القارة الاوربية بـ " القارة العجوز " بسبب عدم تطابق الموقف الاوربي ، مع الموقف الامريكي ، وبالطريقة التي يريدها الامريكان ، بشكل التبعية المطلق . فضلاً عن ذلك ، فأن ماقدمه الكثير من مسوقي ومروجي السياسة الامريكية ممن قدمو انفسهم كمنظرين للمرحلة الحالية ، مثل " فوكويا ، وهانتغتون ، وفريدمان ... الخ " . اعطوا الكثير من المسوغات التي تحتاجها السلطة في تقديم خطابها السياسي ، والمطبوع بالعنف والتخويف والدمار ، ولذلك شاعتت مقولات " صدام الحضارات " و " نهاية التاريخ " و " الصدمة والرعب " و " الحرب الاستباقية " وغيرها الكثير ، مما يحفل به قاموس الغطرسة والعدوان الامريكي . ولقد كانت مثل هذه الأطروحات عميقة في مغالطاتها ، من خلال ركوب الايديلوجيا بأسم العلم ، للخروج بنتائج محدودة ([٢٦]). ان هذه المفاهيم تكمن قيمتها الاساسية في نزوعها الى تهييج الحضارات ، بعضها ضد بعض ، والعمل على صناعة الدمار العقلي والروحي ، فضلاً عن تغذيتها الاتجاهات العدمية بشكل كبير .

الامبراطوريات والطغاة والجبابرة يستشعرون احياناً ، حاجتهم لسواتر اخلاقية ، وهذا مافعلته الولايات المتحدة الامريكية في كل حروبها التي دخلتها منذ انفرادها بالهيمنة الدولية . وان ظهرت خروقات ، هنا او هناك ، فانهم يطلبون من الاخرين ، الصمت ازاء الظلم الواقع عليهم ، لكونه - وبحسب فهمهم – يؤدي واجبه ، حتى يجيء دور النسيان ليسدل استاره الى الابد . أو أنهم يمارسون سياسة الترويض والتطويع، ضد كل من يشكل ازعاجاً او تهديداً لخططهم ، فأن نجح هذا الاسلوب ، فهذا هو المطلوب ، وان كانت الاخرى ، فان سبيل الحرب هو الفيصل . وقطعاً ان الدخول في حرب مع الدولة العظمى وامكانياتها الهائلة والمعروفة ، اشبه بمن يقلد واقعة " الماسادا " (*) كطريق له في مسرح السياسة الدولية .

ولذلك فإن ابرز مظاهر احترام الامبراطوريات ، انها لابد ان تعطي الناس قيمها وقانونها وتراثها واشكالها الحياتية ، حتى ولو كانت في لحظة انحدار ، وهذا مالم تفعله الولايات المتحدة الامريكية ، وعلى الرغم من كونها في اثرى حالاتها . دون ان ننسى ، ان أي تصرف او موقف ، يكون شديد الغنى بالتجربة الانسانية ، سيعمر اكثر ويصبح دلالة للاخرين . بل انه لاقيمة لموقف او لتاريخ او لتجربة اذا لم تقدم اضاءة للمستقبل ، مطورة اساليبها وقدراتها . فالولايات المتحدة الامريكية ليست بحاجة لجيش كبير ، انها بحاجة لسياسة خارجية نافذة ، بعيداً من اوهام الابهة التي بثتها نهاية الحرب الباردة ([٢٧]) .

**ثالثاً : مستقبل العلاقات الدولية**

يقول المفكر الجزائري – مالك بن نبي – " الانسان الغربي لايحمل فضائله خارج عالمه " وهذه حال السياسة ، لانها لاتقوم على القناعات ولا على المباديء السامية ، لكنها تخضع لتحولات علاقة القوة وحدها ، وما لم يكن الطرف الذي يطالب بتغيير السياسات ، قادراً على دعم مطالبه ، بما يجعلها اجبارية ، او بما يجعل من الصعب التجاوز عنها من دون كلفة ، او دفع ثمن كبير لهذا التجاوز ، فلن يكون لدى الخصم أية مصلحة في الاندفاع بنفسه لاحداث التغيير . ولذلك فأن مروجي الخطاب السياسي الامريكي ، يقولون ، أنّ " على الولايات المتحدة ، عدم التراجع عن منطق القوة ، لأنها بذلك تجازف بالعنصر الاساس في سلطانها العالمي " ([٢٨]) ، ومثل ذلك يجعل المخاطر عالية ، من ان تتحول هذه الدولة ، الى دولة فاشية ، لاعتمادها على سياسة القوة المفرطة ، التي تتوارى امامها الاهداف الانسانية والضمير الانساني([٢٩]).

ان الولايات المتحدة الامريكية ، تعرف كيف تأخذ ، بل وتغتصب في احيان كثيرة ، لكنها لاتعرف كيف تعطي حتى ولو الشحيح . ولذلك فأن مظاهر استخلاف الولايات المتحدة ، للأمبراطوريتين البريطانية والفرنسية ، في منطقة الشرق الاوسط ، جرى بالازاحة ، التي رافقتها في احيان كثيرة ، مظاهر العنف والقسوة ، على الرغم من الصداقة المعلنة بين الوريث والوارث . وما حصل جزء من سلوك الامبراطوريات ، التي

---

٢٦- علي الصالح مولى – الوجود والعدم : دراسة تحليلية نقدية لعلاقة الانا بالاخر – مطبعة التسفير – تونس ٢٠٠٦ – ص : ٦٤

(*)الماسادا : اسم قلعة شهدت انتحاراً جماعياً لمقاتليها من اليهود ، بعد ان طوقتهم القوات الرومانية عام ٧٣ م ، واقدموا على فعلهم ذلك ، حفاظاً على اسرارهم وتضحية في سبيل العقيدة ويعتقد الكثيرون ان هذه الواقعة جزء من الاساطير " الاسرائيلية " المروجة لغرض ابراز شجاعة وقيم الشعب اليهودي

٢٧- اندرو باسيفيتش – مصدر سابق – ص : ٢١٨ .

28 - Leslie H. Gelb – Power Rules : How common sense can Rescue American Foreign Policy – New York – Harper Collines 2009 – P : 173

٢٩- نفيز مصدق احمد – الحرب على الحرية – الاهلية للنشر والتوزيع – عمان / الاردن ٢٠٠٣ – ص : ٣٧٥ .

عليها ان تؤطر سياساتها على وفق مفهومها الاستراتيجي ، بعيداً عن الاخلاق والعواطف ، وعليها ايضا ان تتكيف مع كل مرحلة ، لأنه ليس المطلوب منها التمسك بستاتيكية الموقف، لأن ذلك يقودها لأخطاء قاتلة ، قد تسهم في دحرجة موقفها ، لمواقع ادنى ، وهو مايستثير كل حواسها العدوانية ، كماان السياسة في المقام الأول ، ثمرة تغيير في موازين القوى وتوازناتها ، لاثمرة تستند الى الاقناع والقانون والاخلاق والاحقية ، لأنه مالم تملك القوة لتغيير القناعات والحقائق على الارض فلن تجد احداً يسمعك ويلتفت اليك ([٣٠]) .

ان الامبراطوريات العاتية ، تكابر حتى تصل الى الذرى العالية ، ثم تكتشف عند الوصول هناك ، ان البقاء فادح التكاليف ، وآنذاك تظهر حتمية النزول ، على الرغم من كل العناد الذي تظهره ، حتى وان كان عنيفاً . كما ان هزيمة الامبراطوريات ، يتم التساقط وليس بالسقوط ، من خلال افراطها في استعمال القوة المتصفة بالغرور واهمال وازدراء الآخرين . وهذا مايمكن ان نسجله على الولايات المتحدة الامريكية ، منذ ان اقتنصت اللحظة التي مكنتها من الانفراد بالساحة الدولية منذ بدايات عقد التسعينيات في القرن الماضي ، وحتى الآن . لأن فيض القوة عند كل جبابرة وطغاة العالم تدفعه لسلوك اللامعقول ، حتى ان كان ضد اصدقائه وحلفائه ، رغم كل التسويغات ، الحقيقية والكاذبة ، التي يقدمها لتسويغ الاحداث ، لكن ماتراه العين، لايتحمل كثرة الظنون ، بسبب وضوح الحقائق وتبعاتها وتأثيراتها اللاحقة. ولذلك فقد باتت مفاهيم كالحرب الاستباقية او الحرب الاجهاضية ، انتهاكات للقانون الدولي ، مع ماتشيعه من جو ارهابي متزمت ، كما بدت طروحات كصدام الحضارات او نهاية التاريخ اتجاهات لخلطة عدمية وعدوانية بين شعوب العالم([٣١]) .

والاكيد انه منذ ان انفردت الولايات المتحدة في تقرير شؤون العالم بعد عام ١٩٩١ ، فقد باتت اوضاعه اكثر قلقاً ودموية عما سبقها . والواقع يؤكد ، ان شعارات الديمقراطية وحقبوق الانسان ومزايا العولمة ، التي رفعها الغرب ، لم تجن منها الشعوب ، سوى المزيد من الحروب والهيمنة وانتهاكات حقوق الانسان والقانون الدولي ([٣٢]) . وحصول ذلك واتساعه ، يجعل موضوع السلام العالمي ، حالة مربكة وقلقة على الجميع ، بما فيهم من يملكون القوة النافذة والقادرة على تدمير المقابل ، فضلاً عن ذلك ، فأن نزوع الثقة او انعدامها بين هياكل ومكونات المجتمع الدولي ، أمر يتيح للاقوياء والتحكم والتقرير، بما يرغبون به .

ان النظام الدولي القائم ، سيشهد صعود قوى جديدة على المسرح الدولي ، مثل روسيا والاتحاد الاوربي والصين والهند والبرازيل وغيرها ، الامر الذي يؤدي الى قيام نظام دولي متعدد الاطراف ، فضلاً عن تزايد عدد المنظمات والقوى غير الحكومية . وتعليقنا على هذا ، يكمن في رصدنا لحركة الولايات المتحدة الامريكية على المسرح الدولي ، وهي حركة اتسمت بالفوضوية والارتجال والعدوانية ، ضد الجميع، بما فيهم اصدقاؤها وهذا ماساعد على تقليص المدة الزمنية التي تمتعت بها كقطب وحيد ومهيمن . كما ان توجه النظام الدولي لهيكلية تعدد الاقطاب ، أمر نافع ولصالح المجتمع الدولي على المستويات كافة . وقطعاًان ذلك التحول نحو التعددية القطبية لن يكون هادئا وسلساً في جميع الاحوال ، بل سنشهد تأزمات ومخاشنات ومعاركاً بين من يرغب باستمرار الوضع الحالي ، وبين من يتطلع للتغيير .

لذلك فأن فرضية قيام نظام دولي جديد ، تتنافس فيه قوى متعددة ، امر مقبول ، بعد ان اوغلت الولايات المتحدة في استخدام القوة العسكرية ، الى اداة لتسوية اوضاع سياسية حساسة ، وبما يتقاطع ومفاهيم الديمقراطية وحقوق الانسان وعدم التدخل في الشؤون الداخلية ([٣٣]). ونرى ان استخدام القوة لتسوية المسائل السياسية ، وبهذا الشكل العنيف ، لايؤدي الى سياسة مقيدة ، بل يحول رجل الدولة الذي يذهب لاستخدام القوة، من سيد للسياسة ، الى عبد للاحداث غير المنظورة والخارجة عن السيطرة . كما ان أي استسلام للاغراء العسكري ، من قبل القوى المتنفذة ، معناه الافتقار الى ممارسة التفكير العقلاني في ادارة الازمات .

هناك قوى قادمة ستنافس الولايات المتحدة الامريكية وتزاحمها على القوة المتنفذة ، ولن يكون بامكان الولايات المتحدة التفرد بالهيمنة واستمرار بقائها محوراً رئيساً للنظام الدولي ، لأن المتغيرات المفضية لقيام نظام دولي متعدد الاقطاب ، قد بدأت تفعل فعلها ، ولذلك فعلى الولايات المتحدة ، ان تتأقلم مع هذه المتغيرات وتتكيف مع حقوق ومطامح القوى الجديدة ([٣٤]) ، وبما يمكنها من البقاء في دائرة التأثير والنفوذ العالمي .

لقد شخص الكثيرون من المهتمين بالشأن السياسي العام ، ان استمرارية هيمنة الولايات المتحدة على النظام الدولي ، مسألة مثيرة للشكوك ، والسبب الرئيس في ذلك ، جنوحها الى استخدام القوة المفرطة ، استناداً الى الاستراتيجية الوقائية ، بديلاً من استراتيجية الاحتواء ([٣٥]). رافق ذلك فشل المشروع الامريكي في العراق

---

٣٠- روبرت غيلين – الحرب والتغيير في السياسات العالمية – ترجمة وتحقيق عمر سعيد الايوبي – دار الكاتب العربي – بيروت ٢٠٠٩ – ص : ١٣٦ .

31 - Mark Steyn – oP – Cit – P : 146

٣٢- فاضل الربيعي – مابعد الاستشراق : الغزو الامريكي للعراق وعودة الكولونيات البيضاء – مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ٢٠٠٧ – ص : ١٧٤ .

33 - Andrew J. Bacevich – The limit of Power : The End of American Exception alism – Metropolitan Books – New York 2008- P : 83 .

34-Fareed Zakaria – The post – American World – W:W. Norton – New York 2008 – P: 114 .

٣٥- فنسان الغريب – مصدر سابق – ص : ٢٢١

، مما دفعها الى مستنقع كبير. وعليه ، فأنا نؤشر ان التوسع الامريكي او الاندفاع نحو الحروب الاستباقية ، ماهو الا مظهر من مظاهر الازمة والهروب الى الامام .

لقد تصورت الولايات المتحدة ، ان بامكانها بناء الامن الدولي من خلال القوة العسكرية المفرطة التي تملكها، والتي تجبر الجميع الى القبول بسياساتها وما تطلبه ، لكن فاتها ان للقوة حدود ، كما ان للشعوب ارادة لاتقهر ، الامر الذي اجبرها ان تدفع ثمناً باهضاً لغرورها في اصقاع كثيرة من العالم ، والدليل ، ان سياستها الخارجية اخذتها على غير هدى بحيث بعثرت جنودها في مستنقعات متعددة ، فضلا عن ان مواردها المالية في حالة هدر دائمية ، لان الادارة لم تحسن توظيف القدرات الهائلة التي توفرت لديها بشكل ايجابي ، بل فعلت العكس ، حينما اخذت الامريكية البلد نحو الاستغراق في احلام اليقظة ([٣٦]) .

لقد وصلت الولايات المتحدة الى نهاية مدة ولايتها بصفتها قوة عظمى وحيدة ومهيمنة بلا منازع على النظام العالمي، او كقطب وحيد يتربع على عرش النظام الدولي ، فقوى متعددة بدأت بالبزوغ والمنافسة مما يعطي مؤشرات على بروز نظام دولي جديد متعدد الاقطاب ، قد يضم الولايات المتحدة والصين وروسيا والاتحاد الاوربي والهند والبرازيل، وان كان من المبكر وضع تصور واضح لشكل هذا النظام . فالولايات المتحدة، تتراجع ، نتيجة صعود قوى دولية اخرى ، بعد ان ابتعدت عن الحكمة وضربت بعرض الحائط مختلف مباديء القانون الدولي ، وتنصلت مؤسساتها عن قيود الرقابة والمسألة ، فباتت اقل ثراءً واقل أمناً واكثر مديونية وبلا خيارات كثيرة في مواجهة الازمات ([٣٧]) .

**الخاتمة**

ان حقائق العصر لاتخفى على كل مهتم بالشأن العام فالاستناد الى امكانيات القوة لايديم الزخم لأي متنفذ ، لكونها امكانيات متغيرة وسريعة التبدل . كما ان التصورات المسبقة عن الازمات والاحداث الحاصلة تتقاطع مع الحقائق المعبرة عن نفسها على الارض ، وهي احدى نقاط الضعف والقتل للأباطرة وامبراطورياتهم ، بسبب الغرور والتسلط والاستهانة بالآخرين ، وهذا ما دأبت الولايات المتحدة الامريكية ، على التعامل به ، في كل اجراءاتها وانشطتها في حقل السياسة الدولية ، متناسية بذلك القاعدة الذهبية ، التي تقول : " دوام الحال من المحال " . وما حصل منذ ان انفردت الولايات المتحدة الامريكية بمسرح السياسة الدولية ، فقد انطبعت مسالكه واشكال التعامل الحاصلة فيه ، بالعنف والقسوة والغرور المطلق ، وهي مشاهد أليمة وغير انسانية ، لكنها ستسرع من قصر زمن الانفراد الدولي وشكل الانفلات والفوضى الحاصلة ، وما نلاحظه من مؤشرات ودلائل وانطباعات حسية ، تؤكد هذه الحقيقة ، حتى وان تغافلت أو تعاميت الولايات المتحدة الامريكية ، عن التعامل معها .

**المصادر**

**أولاً : الكتب باللغة العربية**


١- اندروبا سيفيتش – الامبراطورية الامريكية – ط١ – الدار العربية للعلوم – بيروت ٢٠٠٤
٢- افغيني بريماكوف – العالم بعد ١١ أيلول – ط١ – ترجمة احمد الهاشم وفالح السوداني – دار المدى للثقافة والنشر – دمشق ٢٠٠٦
٣- الفن توفلر : تحول السلطة : المعرفة والثروة والعنف في بداية القرن الحادي والعشرين – ترجمة حافظ الجمالي واسعد صقر – منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق ١٩٩١
٤- برهان غليون – العرب وتحولات العالم من سقوط جدار برلين الى سقوط بغداد – ط١ – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء / المغارب ٢٠٠٣
٥- بوب وودوار – حرب بوش – عرض وتحليل حسين عبد الواحد – الناشر مدبولي الصغير – القاهرة ٢٠٠٣
٦- جيمس بيكر – مذكرات جيمس بيكر – ط١ – ترجمة مجدي شرشر – مكتبة مدبولي – القاهرة ١٩٩٩
٧- د. حميد حمد السعدون – فوضوية النظام العالمي الجديد – دار الطليعة العربية – عمان ٢٠٠١
٨- روبرت سميث – جدوى القوة : فن الحرب في العالم المعاصر – ترجمة وتحقيق مازن جندلي – الدار العربية للعلوم – بيروت ٢٠٠٨
٩- روبرت غيلين – الحرب والتغيير في السياسات العالمية – ترجمة وتحقيق عمر سعيد الأيوبي – دار الكاتب العربي – بيروت ٢٠٠٩


36 - Fred Kaplan – oP. Cit – P : 136.
37 - Paul Starobin – oP. Cit – P: 206 .

١٠- زبيغنيو بريجنسكي – رقعة الشطرنج الكبرى – ط١ – ترجمة امل الشرقي – الاهلية للنشر والتوزيع – عمان ١٩٩٩
١١- سعد حقي توفيق – النظام الدولي الجديد : دراسة في مستقبل العلاقات الدولية بعد انتهاء الحرب الباردة – الاهلية للنشر والتوزيع – عمان ١٩٩٩
١٢- صوفي بودي جندور – المجتمع الامريكي بعد ١١ سبتمبر – ط١ – مطبوعات المؤسسة الوطنية للعلوم السياسية – باريس ٢٠٠٢
١٣- علي الصالح مولى – الوجود والعدم : دراسة تحليلية نقدية لعلاقة الأنا بالآخر – مطبعة التسفير – تونس ٢٠٠٦
١٤- علي محمد رحومة – الانترنيت والمنظومة التكنو اجتماعية – مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ٢٠٠٥
١٥- فنسان الغريب – مأزق الامبراطورية الامريكية – مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ٢٠٠٨
١٦- فرج العشة – نهاية الاصولية ومستقبل الاسلام السياسي – دار الكتب والنشر – بيروت ٢٠٠٩
١٧- فاضل الربيعي – مابعد الاستشراق : الغزو الامريكي للعراق وعودة الكولونيات البيضاء – مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ٢٠٠٧
١٨- محمد حسنين هيكل – الامبراطورية الامريكية والاغارة على العراق – ط٢ – دار الشروق – القاهرة ٢٠٠٣
١٩- نفيز مصدق – الحرب على الحرية – الاهلية للنشر والتوزيع – عمان / الأردن ٢٠٠٣

**ثانياً : الكتب باللغة الانكليزية**

1- Andrew J. Bacevich – The limit of power : The End of American Exception alism – Metropolitan Books – New York 2008
2- Fred Kaplan – Day dream Believers : How a Few Grand Ideas Wrecked American Power – Hoboken, NJ : John Wiley and Sons 2008
3- Fareed Zakaria – The post – American World – W:W. Norton – New York 2008
4- Jonathan Steele – Defeat : Why they Lost Iraq – London : I. B. Tauris 2008
5- Leslie H. Gelb – Power Rules : How common sense cau rescue American Foreign Policy – New York – Harper Colliues 2009
6- Mark Steyn – America Alon : The End of the world we know it – Washington DC : Regnery 2008
7- Paul Star bin – After America : Life After Ane American Century – Viking New York 2008

# Unipolarity and Its Influences in American Foreign Policy and the Future International Relations

**Dr. Hameed H. Al-Sadoon**

**International studies Center – Baghdad University**

**Abstract**

The concept of unipolar has allowed the united states of America to control the rest of the internations community units through the rxclusively of control in international affairs without enabling other countries who have the ability to compete with it to appear this comes as a result of it's position to all kinds of powers like military, economic and technical powers that enable it to continue dominating other countries, this superior control enabled it to be the (hyper power) on the international political scene so that it allowed it to exercise and implement the policy of domination against all this appeared after its empire superiority became clear, in a unique way that have never been known in human history, especially after the submission of many countries for it, which is accompanied with the absence of system based on the law, and the domination of the logic law of power, As the unipolar concept flourishes the power domination and ability that the united states of America have and this consider with the American approach that is based on impulsion and aggression in dealing with the different political issues, as the same time, it influenced on the American foreign policy especially in the so called creative chaos, which means the presence of powers that are conflicting together through leaving the conflict to its own powers to resolve this means a kind of destruction chaos and lawlessness. In addition, the adoption of the political discourse in the criteria of selection and differentiation add another element to the whole activity. Perhaps the wars crisis and disaster that happened during the American domination are clear evidences on the catastrophic American applications in the foreign policy. The continuous adoption for this concept as the only method between countries means the continuous tension, violence and loss of many opportunities for growth and development this requires every one to reconsider the structure of the international power. Inspire of the USA keen to uphold the status quo, if fights anyone who tries to complete with it and influences on it's interests. But this domination can't stay for a long time because three are many international powers who compete with the united states of American in power and domination, and we can see that in the number of changes to make a system of multiplication even if it requires from other countries to be aggressive.